يُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾.

﴿العذاب الأكبر﴾ الذي هو عذاب جهنم. وقيل: هو استثناء من قوله: ﴿فذكر﴾[1] أي: فذكر إلا من انقطع طمعك من إيمانه وتولى فاستحق العذاب الأكبر وما بينهما اعتراض، وقرئ: إلا من تولى على التنبيه. وفي قراءة ابن مسعود: فإنه يعذبه وقرأ أبو جعفر المدني: إيابهم التشديد، ووجهه أن يكون فيعالاً مصدر أيب فيعل من الإياب، أو أن يكون أصله أوابًا فعالاً من أوب.

إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾.

ثم قيل إيوابًا كديوان في دوّان، ثم فعل به ما فعل بأصل سيد وميت.

فإن قلت: ما معنى تقديم الظرف؟ **قلت:** معناه التشديد في الوعيد[2] وأن إيابهم ليس إلا إلى الجبار المقتدر على الانتقام.

ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾.

وأن حسابهم ليس بواجب إلا عليه وهو الذي يحاسب على النقير والقطمير. ومعنى: الوجوب، الوجوب في الحكمة[3]، عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابًا يسيرًا»[4].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة الفجر مكية

وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾.

أقسم بالفجر كما أقسم بالصبح في قوله: ﴿والصبح إذا أسفر﴾[5] ﴿والصبح إذا تنفس﴾[6] وقيل: بصلاة الفجر.

وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾.

أراد: بالليالي العشر، عشر ذي الحجة.

فإن قلت: فما بالها منكرة من بين ما أقسم به؟ **قلت:** لأنها ليالٍ مخصوصة من بين جنس الليالي العشر بعض منها، أو مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها.

فإن قلت: فهلا عرفت بلام العهد لأنها ليالٍ معلومة معهودة! **قلت:** لو فعل ذلك لم تستقل بمعنى الفضيلة الذي في التنكير، ولأنّ الأحسن أن تكون اللامات متجانسة ليكون الكلام أبعد من الألغاز والتعمية.

وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾.

وبالشفع والوتر إما الأشياء كلها شفعها ووترها، وإما شفع هذه الليالي ووترها. ويجوز أن يكون شفعها يوم النحر، ووترها يوم عرفة لأنه تاسع أيامها وذاك عاشرها، وقد روي عن النبي ﷺ أنه فسرهما بذلك. وقد أكثروا في الشفع والوتر حتى كادوا يستوعبون أجناس ما يقعان فيه وذلك قليل الطائل جدير بالتلهي عنه، وبعد ما أقسم بالليالي المخصوصة.

وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾.

أقسم بالليل على العموم. ﴿إذا يسر﴾ إذا يمضي. كقوله: ﴿والليل إذ أدبر﴾[7] ﴿والليل إذا عسعس﴾[8] وقرئ: والوتر بفتح الواو، وهما لغتان كالحبر والحبر في العدد وفي الترة الكسر وحده. وقرئ: الوتر بفتح الواو وكسر التاء. رواها يونس عن أبي عمرو. وقرئ: والفجر والوتر، ويسر بالتنوين وهو التنوين الذي يقع بدلاً من حرف الإطلاق، وعن ابن عباس: وليالٍ عشر، بالإضافة يريد وليالِ أيام عشر، وياء يسر تحذف في الدرج اكتفاءً عنها بالكسرة، وأما في الوقف فتحذف مع الكسرة، وقيل: معنى يسرى يسرى فيه.

هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾

﴿هل في ذلك﴾ أي: فيما أقسمت به من هذه الأشياء ﴿قسم﴾ أي: مقسم به ﴿لذي حجر﴾ يريد: هل يحق عنده أن تعظم بالإقسام بها، أو هل في إقسامي بها إقسام لذي حجر، أي: هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه. والحجر العقل لأنه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلاً ونهيّة لأنه يعقل وينهي، وحصاة من الإحصاء وهو الضبط. وقال الفراء: يقال إنه لذو حجر إذا كان قاهرًا لنفسه ضابطًا لها، والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله: ألم تر إلى قوله: فصب عليهم ربك سوط عذاب. قيل لعقب عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح: عاد، كما يقال لبني هاشم هاشم، ثم قيل: للأوّلين منهم عاد الأولى، وإرم تسمية لهم باسم جدهم، ولمن بعدهم عاد الأخيرة. قال ابن الرقيات:

مجدًا تليدًا بناه أوّله ... أدرك عادًا وقبلها إرمًا

فإرَمَ في قوله: ﴿بعاد * إرم﴾ عطف بيان لعاد وإيذان بأنهم عاد الأولى القديمة. وقيل: إرم بلدتهم وأرضهم التي

(1) سورة الغاشية، الآية: 21.
(2) قال أحمد: ومعنى ثم الدلالة على أنّ الحساب أشد من الإياب، لأنه موجب العذاب وبادرته.
(3) قال أحمد: أخطأ على عادته ليس على الله واجب، وقد تقدّم معنى على في غير هذا، والله أعلم.
(4) ذكره ابن مردويه والثعلبي في تفسيره ذكره الزيلعي 4/197.
(5) سورة المدثر، الآية: 34.
(6) سورة التكوير، الآية: 18.
(7) سورة المدثر، الآية: 33.
(8) سورة التكوير، الآية: 17.

كانوا فيها. ويدل عليه قراءة ابن الزبير: بعادٍ إرم، على الإضافة، وتقديره: بعاد أهل إرم. كقوله: واسأل القرية، ولم تنصرف قبيلة كانت أو أرضًا للتعريف والتأنيث. وقرأ الحسن: بعاد إرم، مفتوحتين، وقرئ: بعاد إرم، بسكون الراء على التخفيف، كما قرئ: بورقكم. وقرئ: بعاد إرم ذات العماد، بإضافة إرم إلى ذات العماد. والإرم: العلم. يعني: بعاد أهل أعلام ذات العماد.

إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾.

و﴿ذات العماد﴾ اسم المدينة. وقرئ: بعاد إرم ذات العماد، أي: جعل الله ذات العماد رميمًا بدلاً من فعل ربك. وذات العماد إذا كانت صفةً للقبيلة، فالمعنى: أنهم كانوا بدويين أهل عمد، أو طوال الأجسام على تشبيه قدودهم بالأعمدة. ومنه قولهم: رجل معمد وعمدان إذا كان طويلاً، وقيل: ذات البناء الرفيع، وإن كانت صفة للبلدة فالمعنى: أنها ذات أساطين. وروي أنه كان لعاد ابنان: شداد وشديد فملكا وقهرا، ثم مات شديد وخلص الأمر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها. فسمع بذكر الجنة فقال: ابني مثلها، فبنى إرم في بعض صحارى عدن في ثلثمائة سنة، وكان عمره تسعمائة سنة. وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت، وفيها أصناف الأشجار والأنهار المطردة، ولما تم بناؤها سار إليها بأهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا، وعن عبد الله بن قلابة أنه خرج في طلب إبل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثم. وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث إلى كعب فسأله فقال: هي إرم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال، يخرج في طلب إبل له. ثم التفت فأبصر ابن قلابة فقال: هذا والله ذلك الرجل[1].

ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٨﴾.

﴿لم يخلق مثلها﴾ مثل عاد ﴿في البلاد﴾ عظم أجرام وقوّة كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع، وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها على الحي فيهلكهم. ولم يخلق مثل مدينة شدّاد في جميع بلاد الدنيا. وقرأ ابن الزبير: لم يخلق مثلها أي: لم يخلق الله مثلها.

وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾.

﴿جابوا الصخر﴾ قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتًا كقوله: ﴿وتنحتون من الجبال بيوتًا﴾[2] قيل: أوّل من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا ألفًا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة.

وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾.

قيل له: ذو الأوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها إذا نزلوا، أو لتعذيبه بالأوتاد كما فعل بماشطة بنته وبآسية.

ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾.

﴿الذين طغوا﴾ أحسن الوجوه فيه أن يكون في محل النصب على الذم، ويجوز أن يكون مرفوعًا على هم الذين طغوا، أو مجرورًا على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون.

فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾.

يقال: صب عليه السوط وغشاه وقنعه، وذكر السوط إشارة إلى أن ما أحله بهم في الدنيا من العذاب العظيم بالقياس إلى ما أعدّ لهم في الآخرة كالسوط إذا قيس إلى سائر ما يعذب به. وعن عمرو بن عبيد: كان الحسن إذا أتى على هذه الآية قال: إن عند الله أسواطًا كثيرة فأخذهم بسوط منها.

إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾.

المرصاد المكان الذي يترتب فيه، الرصد مفعال من رصده، كالميقات من وقته. وهذا مثل لإرصاده العصاة بالعقاب، وأنهم لا يفوتونه. وعن بعض العرب أنه قيل له: أين ربك؟ فقال: بالمرصاد. وعن عمرو بن عبيد رحمه الله أنه قرأ هذه السورة عند بعض الظلمة حتى بلغ هذه الآية فقال: إنّ ربك لبالمرصاد يا فلان. عرض له في هذا النداء بأنه بعض من توعد بذلك من الجبابرة فلله دره أي: أسد فراس كان بين ثوبيه يدق الظلمة بإنكاره ويقصع أهل الأهواء والبدع باحتجاجه.

فَأَمَّا ٱلْإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾.

فإن قُلْتَ: بم اتصل قوله: ﴿فأما الإنسان﴾[3]؟ **قُلْتُ:** بقوله: ﴿إنّ ربك لبالمرصاد﴾[4] كأنه قيل: إن الله لا يريد من الإنسان إلا الطاعة والسعي للعاقبة، وهو مرصد بالعقوبة للعاصي. فأما الإنسان فلا يريد ذلك ولا يهمه إلا لعاجله وما يلذه وينعمه فيها.

وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَـٰنَنِ ﴿١٦﴾.

فإن قُلْتَ: فكيف توازن قوله: ﴿فأما الإنسان﴾[5]. ﴿إذا

(1) ذكره الثعلبي في تفسيره الزيلعي 4/206.
(2) سورة الشعراء، الآية: 149.
(3) قال أحمد: قوله: لا يريد من الإنسان إلا الطاعة، ولا يأمره إلا بها فاسد الصدر مبني على أصله الفاسد سليم العجز.
(4) سورة الفجر، الآية: 14.
(5) سورة الفجر، الآية: 15.

ما ابتلاه ربه﴾[1]، وقوله: ﴿وأما إذا ما ابتلاه﴾ وحق التوازن أن يتقابل الواقعان بعد أما، وأما تقول أما الإنسان فكفور، وأما الملك فشكور. أما إذا أحسنت إلى زيد فهو محسن إليك، وأما إذا أسأت إليه فهو مسيء إليك! **قُلْتُ:** هما متوازنان من حيث إنّ التقدير، وأما هو إذا ما ابتلاه ربه. وذلك أن قوله: ﴿فيقول ربي أكرمن﴾ خبر المبتدأ الذي هو الإنسان ودخول الفاء لما في أما من معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدأ والخبر في تقدير التأخير كأنه قيل: فأما الإنسان فقائل ربي أكرمن وقت الابتلاء، فوجب أن يكون فيقول الثاني خبر المبتدأ واجب تقديره.

فإن قُلْتَ: كيف سمى كلا الأمرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء؟ **قُلْتُ:** لأنّ كل واحد منهما اختبار للعبد. فإذا بسط له فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر، إذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع. فالحكمة فيهما واحدة ونحوه قوله تعالى: ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾[2].

فإن قُلْتَ: هلا قال فأهانه وقدر عليه رزقه كما قال فأكرمه ونعمه. **قُلْتُ:** لأن البسط إكرام من الله لعبده بإنعامه عليه متفضلاً من غير سابقة، وأما التقدير فليس بإهانة له لأنّ الإخلال بالتفضل لا يكون إهانةً ولكن تركًا للكرامة، وقد يكون المولى مكرمًا لعبده مهينًا له وغير مكرم ولا مهين. وإذا أهدى لك زيد هديةً قلت: أكرمني بالهدية، ولا تقول أهانني ولا أكرمني إذا لم يهد لك.

فإن قُلْتَ: فقد قال فأكرمه فصحح إكرامه وأثبته ثم أنكر قوله ﴿ربي أكرمن﴾[3] وذمّه عليه كما أنكر قوله: ﴿أهانن﴾ وذمّه عليه! **قُلْتُ:** فيه جوابان: أحدهما أنه إنما أنكر قوله: ربي أكرمن، وذمّه عليه. لأنّه قال على قصد خلاف ما صححه الله عليه وأثبته وهو قصده إلى أنّ الله أعطاه ما أعطاه إكرامًا له مستحقًا مستوجبًا على عادة افتخارهم وجلالة أقدارهم عندهم. كقوله: إنما أوتيته على علم[4] عندي. وإنما أعطاه الله على وجه التفضل من غير استيجاب منه له ولا سابقة مما لا يعتدّ الله إلا به وهو التقوى دون الأنساب والأحساب التي كانوا يفتخرون بها ويرون استحقاق الكرامة من أجلها. والثاني أن ينساق الإنكار والذمّ إلى قوله: ربي أهانن. يعني: أنه إذا تفضل عليه بالخير وأكرم به اعترف بتفضل الله وإكرامه، وإذا لم يتفضل عليه سمى ترك التفضل هوانًا وليس بهوان، ويعضد هذا الوجه ذكر الإكرام في قوله: فأكرمه[5]. وقرئ: فقدر بالتخفيف والتشديد، وأكرمن وأهانن بسكون النون في الوقف فيمن ترك الياء في الدرج مكتفيًا منها بالكسرة.

كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾

﴿كلا﴾ ردع للإنسان عن قوله: ثم قال: بل هناك شر من هذا القول[6] وهو أنّ الله يكرمهم بكثرة المال فلا يؤدّون ما يلزمهم فيه من إكرام اليتيم بالتفقد والمبرّة.

وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾.

وحض أهله على طعام المسكين ويأكلونه أكل الأنعام ويحبونه فيشحون به. وقرئ: يكرمون وما بعده بالياء والتاء. وقرئ: تحاضون أي: يحض بعضكم بعضًا. وفي قراءة ابن مسعود: ولا تحاضون بضم التاء من المحاضة.

وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾.

﴿أكلاً لمًا﴾ ذا لم، وهو الجمع بين الحلال والحرام. قال الحطيئة:

إذا كان لما يتبع الذمّ ربه فلا قدّس الرحمن تلك الطواحنا

يعني: أنهم يجمعون في أكلهم بين نصيبهم من الميراث ونصيب غيرهم. وقيل: كانوا لا يورّثون النساء ولا الصبيان، ويأكلون تراثهم مع تراثهم. وقيل: يأكلون ما جمعه الميت من الظلمة وهو عالم بذلك، فيلم في الأكل بين حلاله وحرامه. ويجوز أن يذمّ الوارث الذي ظفر بالمال سهلاً مهلاً من غير أن يعرق فيه جبينه فيسرف في إنفاقه ويأكله أكلاً واسعًا جامعًا بين ألوان المشتهيات من الأطعمة والأشربة والفواكه كما يفعل الورّاث البطالون.

وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾.

﴿حبًا جمًا﴾ كثيرًا شديدًا مع الحرص والشره ومنع الحقوق.

كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾.

﴿كلا﴾ ردع لهم عن ذلك وإنكار لفعلهم. ثم أتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرّطوا فيه حين لا تنفع الحسرة ويومئذٍ بدل من ﴿إذا دكت الأرض﴾ وعامل النصب فيهما يتذكر. ﴿دكا دكا﴾ دكًا بعد دك. كقوله: حسبته بابًا بابًا، أي: كرّر عليها الدك حتى عادت هباءً منبثًا.

---

(1) قال أحمد: يريد أنه صدر ما بعد أما الأولى بالاسم، وما بعد أما الثانية بالفعل، ومقصود السائل أن يكونا مصدرين إما بإسمين أو بفعلين.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 35.

(3) سورة الفجر الآية: 15.

(4) قال أحمد: والقدري لا يبعد عن ذلك؛ لأنه يرى أنّ النعيم الأعظم في الآخرة حق للعبد على الله واجب له عليه، ليس بتفضل ولا منون.

(5) قال أحمد: كأنه يجعل قوله: فأكرمه توطئة لذمة على قوله: أهانن = لا أنه مذموم معه.

(6) قال أحمد: وفي هذه الآية إشعار بإبطال الجواب الثاني في جوابي الزمخشري، فإنه جعل قوله: أكرمن غير مذموم، ودلت هذه الآية على أنّ المعنى أنّ للمكرم بالبسط بالرزق حالتين، إحداهما: اعتقاده أنّ إكرام الله له عن استحقاقه الثانية أشدّ من الأولى، وهي أن لا يعترف بالإكرام أصلاً؛ لأنه يفعل أفعال جاحدي النعمة، فلا يؤدّي حق الله الواجب عليه في المال من إطعام اليتيم والمسكين.

فإن قُلْتَ: ما معنى إسناد المجيء إلى الله، والحركة والانتقال إنما يجوزان على من كان في جهة؟ **قُلْتُ:** هو تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبين آثار قهره وسلطانه مثلت حاله في ذلك بحال الملك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة أبيهم.

وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾.

﴿صفًا صفًا﴾ ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفًا بعد صف محدقين بالجن والإنس.

وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾.

﴿وجيء يومئذٍ بجهنم﴾ كقوله: **﴿برزت الجحيم﴾**[1] وروي أنها لما نزلت تغير وجه رسول الله ﷺ، وعرف في وجهه، حتى اشتدّ على أصحابه. فأخبروا عليًا رضي الله عنه فجاء فاحتضنه من خلفه وقبله بين عاتقيه، ثم قال: يا نبيّ الله ـ بأبي أنت وأمي ـ ما الذي حدث اليوم؟ وما الذي غيرك؟ فتلا عليه الآية. فقال علي له: كيف يجاء بها، قال: يجيء بها سبعون ألف ملك يقودونها بسبعين ألف زمام فتشرد شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع[2]. أي: يتنكر ما فرّط فيه أو يتعظ. **﴿وأنى له الذكرى﴾** ومن أين له منفعة الذكرى، لا بد من تقدير حذف المضاف. وإلا فبين: يوم يتذكر وبين: وأنى له الذكرى تنافٍ وتناقض.

يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾.

﴿قدّمت لحياتي﴾ هذه وهي حياة الآخرة، أو وقت حياتي في الدنيا. كقولك: جئته لعشر ليالٍ خلون من رجب، وهذا أبين دليل على أن الاختيار كان في أيديهم ومعلقًا بقصدهم وإرادتهم وأنهم لم يكونوا محجوبين عن الطاعات مجبرين على المعاصي كمذهب أهل الأهواء والبدع وإلا فما معنى التحسر.

فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾.

قرئ: بالفتح يعذب ويوثق، وهي قراءة رسول الله ﷺ. وعن أبي عمرو: أنه رجع إليها في آخر عمره. والضمير للإنسان الموصوف. وقيل: هو أبي بن خلف. أي: لا يعذب أحد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والأغلال مثل وثاقه لتناهيه في كفره وعناده، أو لا يحمل عذاب الإنسان أحد كقوله: **﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾**[3] وقرئ: بالكسر، والضمير لله تعالى أي: لا يتولى عذاب الله أحد لأنّ الأمر لله وحده في ذلك اليوم، أو للإنسان أي: لا يعذب أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه.

يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾.

﴿يا أيتها النفس﴾ على إرادة القول أي: يقول الله للمؤمن يا أيتها النفس. إمّا أن يكلمه إكرامًا له كما كلم موسى صلوات الله عليه، أو على لسان ملك. و**﴿المطمئنة﴾** الآمنة التي لا يستفزها خسوف ولا حزن وهي النفس المؤمنة أو المطمئنة إلى الحق التي سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك، ويشهد للتفسير الأوّل قراءة أبيّ بن كعب: يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة.

فإن قُلْتَ: متى يقال لها ذلك؟ **قُلْتُ:** إمّا عند الموت، وإمّا عند البعث، وإمّا عند دخول الجنة.

ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾.

على معنى **﴿ارجعي﴾** إلى موعد ربك **﴿راضية﴾** بما أوتيت **﴿مرضية﴾** عند الله.

فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾.

﴿فادخلي في عبادي﴾ في جملة عبادي الصالحين، وانتظمي في سلكهم.

وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾.

﴿وادخلي جنتي﴾ معهم. وقيل: النفس الروح، ومعناه: فادخلي في أجساد عبادي. وقرأ ابن عباس: فادخلي في عبدي، وقرأ ابن مسعود: في جسد عبدي، وقرأ أبيّ: ائتي ربك راضية مرضية، ادخلي في عبدي، وقيل: نزلت في حمزة بن عبد المطلب. وقيل: في خبيب بن عدي الذي صلبه أهل مكة وجعلوا وجهه إلى المدينة. فقال: اللهم إن كان لي عندك خير فحوّل وجهي نحو قبلتك، فحوّل الله وجهه نحوها، فلم يستطع أحد أن يحوّله، والظاهر العموم عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له، ومن قرأها في سائر الأيام كانت له نورًا يوم القيامة»[4].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة البلد مكية

لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾.

أقسم سبحانه بالبلد الحرام وما بعده على أن الإنسان خلق مغمورًا في مكابدة المشاق والشدائد. واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله:

وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾.

---

(1) سورة النازعات، الآية: 36.

(2) ذكره الواحدي والثعلبي وابن مردويه في تفاسيرهم، الزيلعي 4/ 206.

(3) سورة النجم، الآية: 38.

(4) ذكره الواحدي وابن مردويه والثعلبي في تفاسيرهم، الزيلعي 4/ 207.